الفصل الأول

الأنسنة في القرآن الكريم.. معجزة وإعجازاً...

- إضاءة:
- ماهية الأنسنة؟
- التأنيس.. غير التشخيص والتجسيد والتجسيم...
- الأنسنة في آيات الذكر الحكيم... غاية ووسيلة...
- سجود الشمس والقمر والنجوم.. والجبال والشجر والدواب...
- شهادة السمع والبصر والجلود واليد واللسان...
- تسبيح سائر ما في السموات والأرض...
- خشوع الأبصار والقلوب والأصوات والجبال...
- نطق ما لا ينطق...
- سير ما لا يسير.. وأمانة ما لا يعقل....
- تنفس ما لا يتنفس، وسكوت اللاناطق...

❑ إضـــاءة:

يعرف الباحثون المعنيون بالدراسات القرآنية أن القدماء من مفسرين أو علماء بمختلف تخصصاتهم انشغلوا بتدبر آيات الذكر الحكيم، لا من النواحي التـــشريعية المعنية بأحكام الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغيرها من التشريعات الآخـــر فحسب، إنما تجاوزوا ذلك إلى الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني غير المتناهية من هذا المنظور أو ذاك، منطلقين -في هذا الشأن- من حقائق جوهرية ثابتة، أبرزها أن نبوة النبي محمد ﷺ معجزتها القرآن الكريم، كما قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الزمر: ٢] وإدراك عجز الجن والإنس عن معارضة القرآن، وعدم القدرة على توهين حجته، لقوله تعـــالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، والإيمان الراسخ بقوله تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] ثم رسوخ قناعتهم أن هذا القرآن حفظت آياته من التحريف -زيادة ونقصاناً- بفضل الله عز وعلا تأكيداً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقد كانت جهود القدماء في تحديد وجوه الإعجاز القرآني تترى من عالم إلى آخر، وقد سطر السيوطي (٩١١هـــ) أسماء العلماء الذين أفصحوا عـــن وجـــوه الإعجاز القرآني مقترنة بآرائهم بإيجاز واف[1].

أما بشأن المحدثين فقد كتبوا في الإعجاز القرآني من منطلقات تـــتلاءم وروح العصر، فنقرأ دراسات في الإعجاز العلمي والطبي والفلكي وغيرهـــا[2]، ومـــا زال البحث في استنباط وجوه إعجاز آخر قائماً، لإيمان الجميع أن القرآن الكريم معـــين لا ينضب.

وقد تراءى لنا بعد إطلاع على دراسات المتقدمين أن هناك وجهاً في القرآن الكريم متعلقاً بالمعجزة والإعجاز لم ينل إغناء أو إشباعاً أو إيداعاً في دراسة مستقلة، مؤطرين إياه تحت ما اصطلح عليه بـ(الأنسنة)، مستمدين محتواها من إضفاء الله جلت قدرته موجبات الإنسان (المسلم الموحد) في السجود والتسبيح والتشهد والخشوع والأمانة، فضلاً عن تمتعه بالنطق عن سائر المخلوقات الآخر، على غير العاقل من حيوان وجماد ومعان مجردة أو محسوسات ومعنويات، مما تضمنته بعض الآيات البينات.

ومن الجدير بالذكر أن الشعراء القدماء منهم بخاصة نهجوا هذا النهج في تضاعيف خطاباتهم الشعرية.

ولكن شتان بين النص القرآني في بديع نظمه، وعجيب تآليفه وتناهيه في البلاغة، وروعة فصاحته، ومعانيه الساحرة، والجامع لمحاسن الكلام في الأسماء والأفعال والحروف حتى لا يصح أن يقال له: رسالة، أو خطابة، أو شعر، أو سجع، إنما يصح أن يقال هو قرآن، والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم[٣].

خلاف كلام البشر ومنهم الشعراء والفصحاء والبلغاء والخطباء من الذين يشار إليهم بالبنان في كل زمان ومكان الذين قد يأتون بالغاية في البراعة في معنىً، فإذا جاءوا إلى غيره قصروا عنه ووقفوا دونه، وبان الاختلاف على كلامهم -شعراً ونثراً- وذلك وحده كاف لإسكات نباح الملحدين، الذين أخذوا زوراً وبهتاناً يعدلون القرآن الكريم ببعض الأشعار، ويوازنون بينه وبينها، ولا يرضون بذلك حتى يفضلوها عليه! أو يساووه بها[٤]. كمن يطلب عيباً فيه فأوجده بغير حق ولا بصيرة لا وجده.. ولاسيما بعض المستشرقين الحاقدين على ديننا وتراثنا[٥].

وحسبنا بعد ما تقدم أن نمضي إلى انتقاء الآيات القرآنية الدالة على محتوى الأنسنة، مبتدئين بعرض مفهومها أولاً.

❑ ماهية الأنسنة؟

يرجح لنا أن مصطلح الأنسنة بوصفه أحد المصطلحات الأدبية والنقدية التي أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة مؤخراً، نقلاً عن الترجمة الإنجليزية: Humanize أو Uamanisatio هو من يخلع عليه صفة بشرية، أو يمثله في صورة بشرية، أو يعدله ليلائم الطبيعة البشرية، بكلمة أخرى تعني -أي الأنسنة- إنزال غير العاقل من الحيوان أو النبات أو الجماد أو المعاني المجردة أو المحسوسات والمعنويات، منزلة الإنسان العاقل نطقاً وسلوكاً وأفعالاً ومشاعر وغيرها [٦].

وبذلك تبدو الأنسنة جامعة بين الإنسان وغيره، أو هي إلحاق صفات الإنسان أو إسقاطها على غير العاقل بمختلف هيئاته ووجوده.

ودواعي الترجيح هي أن علماء المجمع استنبطوا فحواه من النص القرآني أولاً، ومن خطابات الشعراء تالياً، لغياب تداوله في الأدبيات القديمة (نقداً وبلاغة)، وأن كان اهتمام تلك الأدبيات المتقدمة قريبة منه في تداولها مصطلحات أنواع الاستعارات أو المجازات.

إذ نلحظ استشهادات -في بعض تلك الأدبيات- دون ذكر مصطلح (الأنسنة) من ذلك على سبيل المثال لا الحصر أن ثعلب (٢٩١هـ) في مصنفة (قواعد الشعر) استشهد بخطاب امرئ القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازاً وناء بكلكل

أشار فيه إلى بث الشاعر الحياة في الزمن (الليل) في معرض حديثه عن الاستعارة مشيداً بخيال الشاعر الذي صيّر الليل عاقلاً- بأنسنته من خلال مخاطبته إياه بدلالة قول الشاعر «فقلت له...» [٧].

ويقال الشيء نفسه عن القاضي الجرجاني (٣٩٢هـ) المستشهد في (وساطته) بخطاب أبي تمام الذي أنسن فيه الدهر بقوله:

يا دهرُ قوّم من أخدعيك فقــد أضججت هذا الأنامَ من خَرَقِكْ

والمستقبح هذه الاستعارة، بإضفاء صفة الخرق على الدهر، قائلاً بمـا نـصه: «وإياك والإصغاء إليه، وأحذر الالتفات نحوه، فإنه مما يـصدئ القلـب ويُعميـه، ويطمس البصيرة، ويكد القريحة»[٨].

وهناك شواهد شعرية آخر تفصح عن خلع صفات الإنسان المتعددة على غير العاقل، لا سبيل إلى الإتيان بها، مما لا يفسح المقام لها.

□ التأنيس.. غير التشخيص والتجسيد والتجسيم:

وقع بعض الباحثين في الوهم حين عدّوا الأنسنة مرادفة للتـشخيص بقولـه: «والتشخيص هو خلع الصفات الإنسانية على كل المحسوسات والماديات»[٩].

إن دليلنا على هذا الوهم هو المعاني التي تدرج تحت جذري الفعلين (شخص) و(أنس)، إذ نقرأ في بعض المعجمات ما نصه: «الشخص: سواد الإنسان إذ رأيتـه من بعيد، وكل شيء رأيت جُسمانه فقد رأيت شخصه»[١٠].. والشخص أيـضاً: كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص[١١].

نستنبط من هذه المعاني أن الشخص يعني الإنسان وغيره.. من حيث هيأتـه ارتفاعاً وظهوراً وجسماً المؤكد كينونة وجوده أو إثبات ذاته لا غير. دون التطرق إلى ما يتحلى به الإنسان من صفات تميزه عن غير العقلاء!

خلاف ما نطالعه في معاني الفعل (أنس) ومشتقاته، إذ نقرأ «آنَسَ الـشيء: أحسسه، وآنَسَ الشخص واستأنسه رآه وأبصره، ونْظر إليه[١٢]، ويقـال: أنِـسْتُ بفلان: أي فرحت به وأنّسْتُهُ: إذا أحسسته ووجدته في نفسك[١٣].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] أي علمته[١٤]، وأنست الصوت سمعته، والاستئناس خلاف الوحشة[١٥].

«واصل الإنسْ والأنس: الإنسان من الإيناس وهو الإبصار، وسمي الأنسيون إنسيّين لأنهم يُؤنسون أي يُرون، وسمي الجن جناً لأنهم مجتنون عن رؤية الناس أي متوارون[١٦]. أن هذه المعاني المستلة من الفعل (أنس) تؤكد معنى الإنسان في إحساسه، وبصره، ومشاعره، وعلمه، وسمعه، وتميزه عن الجن من حيث الرؤية وعدمها.

وحين نلج المصحف الشريف مستوعبين معاني جذري الفعلين (شخص وأنس).. يتراءى لنا أنّ آياته البينات لم يذكر فيها لفظة (الشخص) الدالة على الإنسان، إلاّ في آيتين اثنتين هما: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبياء: ٩٧].

فمعنى (تشخص وشاخصة) من يفتح بصره لهول ما يرى و لم يغمضه، خلاف لفظة (أنس) المفضية إلى معنى (الإنسان) الذي زخرت آيات الذكر الحكيم بذكره من نواح شتى، في مقدمتها -على سبيل المثال لا الحصر خلقه لعبادة الله مع الجن المختلف عنه في ذلك الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ثم اتصافه بالعلم في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، وتمتعه بالإحساس والشعور والعاطفة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ [الشورى: ٤٨] وتفضيله بالبصر والبصيرة، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤-١٥]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥].

وامتاز الإنسان بالنطق -عن سائر المخلوقات- قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦]، رغبته بالاستئناس، قال تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

نستنبط من هذه الآيات البينات وغيرها، إن للإنسان صفات تميزه على سائر المخلوقات منها (العبادة، والعلم، والنطق، والإحساس، والبصر، والبصيرة) وهو الموصوف أي الإنسان في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. وبذلك تبدو الأنسنة مصطلحاً أكثر ملاءمة في معناها الموجز خلع صفات الإنسان على غيره من المحسوسات والماديات وسائر مخلوقات الله عز وعلا، خلاف التشخيص الدالة على هيأة الإنسان كينونة أو وجوداً أو مظهراً خارجياً فحسب، في حين الأنسنة تبغي مميزاته أو صفاته غير المتوافرة عند غيره مما خلق الله تعالى في السموات والأرض.

وهناك مصطلحات أخر يقع التداخل في مفاهيمها بين الباحثين، منها: التجسيد ومفهومه «إكساب المعنويات صفات محسوسة مجسدة[١٧]، أما التجسيم فهو إلباس المعنويات أثواباً حسية تبرزها في مخيلة المتلقي[١٨].

وبذلك يبدو التجسيم لفظاً يطلق على المحسوسات جميعها من حيوان وجماد ونبات، ومن هنا نرى أن مفهوم مصطلحي التجسيد والتجسيم، يقترب كثيراً من التشخيص، ويبتعد كثيراً جداً عن التأنيس الجامع لصفات الإنسان نطقاً ومشاعر وسلوكاً وغير ذلك، دون التركيز على جسمه أو جسده، بوصفه مظهر هيأة أو كينونة وجود لا غير!

◻ الأنسنة في آيات الذكر الحكيم... غاية ووسيلة:

من خلال قراءة متأنية لطائفة من آيات الذكر الحكيم، يتراءى لنا ولغيرنا أن رب العرش العظيم أضفى أو خلع أو أسقط صفات الإنسان المختلفة على غير العاقل من حيوان وجماد ومحسوسات ومعنويات، مصداقية لقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وذلك ما يعد إفصاحاً عن عزة الله سبحانه وجبروته وعظيم سلطانه تارة، وتحقيق معجزاته ثبتاً تارة ثانية، وإدراك حكمته عبرة وموعظة، تبشيراً وتخويفاً، ووعداً ووعيداً، وإعذاراً وإنذاراً تارة ثالثة، وحجة لنبيه أكرم الخلق محمد ﷺ وصدق دعوته تارة رابعة.

وهذه المعجزات وغيرها سبيلاً إلى تقرب ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٢٣]. وتحذيراً لمن ﴿بَلْ هُم فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

إن غاية الله -عز وعلا- في هذا التوجه كامنة في ترسيخ الإيمان في نفوس عباده، وحثهم على النظر في مثل هذه المعجزات للاستدلال بها على عظمة الخالق. بكلمة أخرى أن كل شيء في هذا الكون كائن بالخالق، وعليهم -أي عباد الله- ألا يتبعوا من دونه أولياء من بشر وغير بشر، يقول جل وعز ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

ولذلك يبدو ما يدرج في نطاق الأنسنة في بعض الآيات البينات لا تعدو سوى وسائل إلى غايات توحيدية محضة، اختباراً يفرق بين المؤمن بقدرة الخالق، ومن في قلبه مرض يأبى التسليم بمثل هذه المعجزات.

❑ سجود الشمس والقمر والنجوم.. والجبال والشجر والدواب:

السجود في جوهره وغاياته مرهون بكل مؤمن بوحدانية الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ [السجدة: ١٥] بعامة، والمسلم بخاصة، معززين ذلك بما أمدتنا به بعض المعجمات العربية وبما نصه:

«سجد يسجد سجوداً وضع جبهته بالأرض»[١٩]، ونقرأ أيضاً: «ما أحسن سجدته، أي هيئة سجوده، ومنه سجود الصلاة، ولا خضوع أعظم منه»[٢٠] وذلك هو المظهر الخارجي لسجود المؤمن في صلاته، ويقال: «قوم سجد وسجود، والمسجَد والمسجِد: الذي يسجد فيه»[٢١]، في إشارة إلى أفضل مكان يتم فيه سجود الصلاة، وفي القرآن الكريم سورة سميت بـ(السجدة) في دلالتها على كل من ذل وخضع لما أمر الله -عز وجل- وهذا المعنى للسجدة نتلمس أبعاده في سجود الملائكة والأنبياء والرسل والمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى في مخاطبته نبيه الكريم محمد ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [ق: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ ﴾ [الحج: ٧٧] وبقية الآيات البينات لا تخرج عن نطاق المؤمنين الساجدين حصراً. لكن الله بحكمته الواسعة، أراد أن يدحض سجود الإنسان للطبيعة السماوية أو الأرضية، ويسلب -أي الطبيعة- دورها الذاتي المستقل، ونبذ سجود بعض البشر لها دون إرادة الله، وذلك ما نتلمس معطياته في هذه الآيات: ﴿ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ [فصلت: ٣٧].

في قوله تعالى: (خلقهن) تعني أن يضرب الله المثل للإنسان المؤمن على عبودية الطبيعة للخالق، وأنّ سجودها لا يتم إلا بإرادته قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد: ١٥].

نستدل من هذه الآية الكريمة على وجوب إدراك المؤمنين أن هذه الكائنات الطبيعية هي مأمورة ومسخرة بإرادة الله عز وعلا، ولا يجدر به عبادتها، ولا أن يتوجس خيفة من تحولاتها، فهي مخلوقات لخالق لا تتحول من وضع إلى آخر إلا بأمره، وشتان بين الخالق وأيّ مخلوق.

ويهمنا في هذا المقام هو ذلك الانزياح -إن جاز التعبير- الحاصل في سجود المؤمنين إلى إسقاط السجود على غير العاقل من تلك الكائنات في الطبيعة من منظور أنسنتها، دون إخلال دلالة السجود في الاثنين (العاقل وغير العاقل): عبادة، توحيداً، طاعة، تواضعاً، تحية، استجابة، إيماناً، ذلاً، خضوعاً.

وهذه الدلالة كامنة أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦] قال الفراء (٢٠٧هـ) في معناها: «يستقبلان الشمس، ويميلان معها حتى ينكسر الفيء، ويكون السجود هاهنا على جهة الخضوع والتواضع»[٢٢]، وقوله تعالى في الرؤيا التي حكاها النبي يوسف عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، أي إنهم خروا من أجله سُجداً لله شكراً لما أنعم الله عليهم، حيث جمع شملهم، وتاب عليهم، وغفر ذنبهم، وأعز جانبهم، ووسع بيوسف عليه السلام، إذ أن اللام في (لي) بمعنى من أجل، إذ لا يجوز لأي مخلوق أن يسجد لغير الله. كما يقول السيوطي (٩١١هـ) ويضيف: تأكيد لي ساجدين جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء[٢٣].

إن هذه المعجزات يسيرة على الخالق، بيد أنها وسيلة للتبصير وإدراك عظمة الله في خلقه، وأن أُطرت تحت مصطلح (الأنسنة) ليس إلا.

□ شهادة السمع والبصر والجلود واليد واللسان:

إن المتأمل في ما يتشظى من الفعل الثلاثي (شهد) الذي تضمنته بعض آيات القرآن الكريم، سيدرك تعدد معانيه بحسب سياق كل آية بينة، ابتداء من الشهادة

بوصفها أحد الأركان الخمسة لكل معتنق لدين الإسلام الحنيف في قوله: «أشهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله» أي أحلف، والمعززة بالتشهد في الصلاة أي قراءة التحيات لله [٢٤].

ومن المعاني الأخر لهذه الفعل، ما ورد في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٧] أي قضى الله أنه لا إله إلا هو، وقيل: بيّن الله وأظهر، ومنه قولنا: «شهد الشاهد عند الحاكم أي بيّن ما يعلمه وأظهره» [٢٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج: ٢-٣] أي يوم القيامة، ويوم الجمعة، ويوم عرفة، والثالث تشهده الناس والملائكة [٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار [٢٧].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] أي مبلغاً [٢٨]، وقوله عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١] أي الملائكة، وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [القصص: ٧٥] أي اخترنا منها نبياً، والشهيد المقتول في سبيل الله، هو (الحي) عند ربه، وسمي الشهيد شهيداً لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة [٢٩]، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وشهد له بكذا شهادة أي أدّى ما عنده من الشهادة [٣٠].

وهذا المعنى للفعل (شهد) يدل على الفعل الإنساني الذي ينهض به هذا أو ذاك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وفضلاً عن آيات آخر تدل على صفات العقلاء من البشر في الإدلاء بالشهادة.

وحين نتأمل هذه الآيات البينات: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، و﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. و﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]، و﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] و﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

نستدل منها أن الله سبحانه وتعالى جعل أجزاء الإنسان لسانه، ويداه، ورجلاه، فضلاً عن حاستيه في السمع والبصر، وجلده المستغرق جسمه وبدنه، وذلك لأن الجلد محيط بهما، شاهدة على من كان مرتكباً تلك المعاصي بوساطتها، لإقامة الحجة، وإظهار وجه البرهان، وإثبات معجزته -جل وعلا- لأن المعجزة إذا ظهرت فإنما تكون حجة من عند الله.

ومدار اهتمامنا من هذه الآيات البينات هو إضفاء الله عز وجل على غير عاقل صفة بشرية، أو متمثلة في صورة بشرية، أو تعديلها لتلائم الطبيعة البشرية، من حيث أن الإنسان هو المعني بالشهادة بتأديته ما عنده في هذا الشأن أو ذاك، -كما مر بنا- فإذا أسقطت تلك الصفات على غير عاقل دخلت في نطاق الأنسنة، ويقال الشيء نفسه بشأن قوله تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ إذ أن الثابت في خلق الله أن الإنسان هو الناطق عن سائر المخلوقات إن كان كلاماً أو محاورة كلامية، وذلك ما يعد أبرز ما يدرج تحت أفق الأنسنة أيضاً.

❑ تسبيح سائر ما في السموات والأرض:

حين نتأمل آيات الذكر الحكيم، يتراءى لنا تعدد معاني الفعل (سبّح) ومشتقاته بحسب سياق كل آية كريمة.

ففي قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، -أي يجرون- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧] أي فراغاً طويلاً للنوم، وراحة وتخفيفاً للأبدان، وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٣]، هي النجوم تسبح في الفلك، أي تذهب فيها بسطاً، كما يسبح السابح في الماء سبحاً، وقيل السفن[٣١].

والتسبيح: هو التنزيه، فقولنا: سبحان الله، معناه تنزيهاً لله من الصاحبة والولد، أو تنزيه الله تعالى عن كل ما ينبغي له أن يوصف[٣٢]. والاسم سبحان: يقوم مقام المصدر (اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه، والمصدر: تسبيح)[٣٣].

أما قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾ [الإسراء: ٤٤] فيعني أن كل ما خلق الله يسبح بحمده، قال الأزهري (٣٧٠هـ): «ومما يدلك على أن تسبيح هذه المخلوقات، تسبيح تعبّدت به، وذلك تأكيد قوله تعالى ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ﴾ [سبأ: ١٠] ومعنى (أوبي) سبحي مع داود عليه السلام النهار كله إلى الليل، أي أن أمر الله -عز وجل- للجبال بالتأويب هو تعبد لها»[٣٤].

والتسبيح بمعنى الصلاة والذكر[٣٥]، وعليه فسر قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] أي الصلاة في هذين الوقتين، والمعنى نفسه ورد في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥] أي وصلِّ، والمسبحون هم المصلون[٣٦]، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. وقيل في هذه الآية الكريمة: إن مجرى التسبيح فينا كمجرى النفس منا لا يشغلنا عنه شاغل[٣٧].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨] أي تستثنون، وفي الاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يشاء أحد إلا أن يشاء الله[٣٨]، فوضع تنزيه الله موضع الاستثناء، والسُبحة: الدعاء وصلاة التطوع والنافلة، سميت الصلاة تسبيحاً، لأن التسبيح تعظيم الله وتنزيهه من كل شيء[٣٩]. ومعنى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي سبحه باسمائه، ونزهه عن التسمية بغير ما سمى به نفسه[٤٠].

نستنبط من المعاني كلها، أن التسبيح مشترك بين الإنسان المؤمن وغيره مما خلق الله في هذا الكون وحين يغدو تسبيح الإنسان تنزيهاً لله عز وجل، وصلاة فريضة ونافلة، ودعاء وذكراً، فإن قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ يدخل ما خلق الله في هذا الكون من غير العقلاء، مدخل الأنسنة أي (عبادتها)، والتعبد لله أساساً الإقرار بوحدانيته. وحين فسر معنى الآية الكريمة ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ أن التأويب هو تسبيح عبادة، والجبال ما لا يعقل فبأمر الله نهضت بالتسبيح والعبادة، والمعنى نفسه ورد في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء/١٧٩] أي تسخير تسبيحهما (الجبال والطير) معه، وهنا مكمن أنسنتها، ليزيد الله إعجاز هذا القرآن بطريقين، الأول إبراز براعة القرآن وفصاحته وبلاغته المتباين عن كلام البشر، والآخر: تأكيد معجزة الله عز وجل من منظور نؤطره فيما اصطلح على تسميته بالأنسنة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣] قيل في معنى الآية الكريمة: «هو ملك موكل بالسحاب يسوقه متلبساً -بحمد الله- أي يقول سبحان الله وبحمده»[٤١] دون أن يخل هذا المعنى بإضفاء الصفة البشرية على (الرعد) - أي بأنسنته- من حيث (التسبيح) في دلالته على التعبد لله وتنزيهه، شأن المؤمن المسبح لله عز وجل.

وبذلك تبدو الظواهر الطبيعية في القرآن الكريم بأي سياق تأتي مردها التدليل على الخالق المتعبد له سائر ما في الكون بوصفها مخلوقات (بشراً وغير بشر) يستدل بها المؤمنون لدحض مزاعم الكافرين وفرض إيمانهم التوحيدي الشاخصة معطياته في أن مخلوقات الله جميعها (الأرضية منها والسماوية) مأمورة ومسخرة بأمره، ومن معجزاته الشاهدة على قدرة الله -عز وعلا- اللامتناهية في صيرورتها كما يشاء[٤٢].

□ خشوع الأبصار والقلوب والأصوات والجبال:

أصل الخشوع كما ورد في بعض المعجمات العربية، معني بالإنسان أساساً قيل: «خشع يخشع خشوعاً واختشع وتخشّع: رمى ببصره نحو الأرض وغضّه، وخفض صوته»[٤٣].

ويقال: خشع بصره: انكسر، واختشع: إذا طأطأ صدره وتواضع[٤٤].

وقيل: الخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والصوت والبصر[٤٥]. والخاشع: هو الراكع في بعض اللغات، والتخشع لله هو التذلل[٤٦].

إن المتأمل لهذه المعاني المعجمية، يلحظ أنها معنية بالإنسان من حيث (بصره، وركوعه، وصوته، وبدنه، وتواضعه، وتذلله).

ويقيناً أن هذه المعاني استقاها المعجميون من بعض آيات الذكر الحكيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، و﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ٢] و﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] و﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥]، و﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

بيد أن الله بحكمته وهو أحكم الحاكمين، وقدرته وهو أعظم القادرين، أناط الخشوع بغير العاقل، فتارة نطالع خشوع (الأبصار)، كما في قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج/٤٤] وقوله تعالى: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٩]. وتارة ثانية أضفى الله الخشوع على القلوب، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

وتارة ثالثة تبدو الأصوات معنية بالخشوع في قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه/١٠٨] وتارة رابعة ارتباط الخشوع بالوجوه، كما في قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [الغاشية:١- ٢]، وخامسة خشوع الأرض في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩]. وسادسة خشوع الجبل في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

نستشف من هذه الآيات البينات المعنية بخشوع غير العاقل (بصراً، قلباً، صوتاً، وجهاً، أرضاً، جبلاً)، أن الله عز وجل أراد في أنسنتها، أن يطيل المسلمون بعامة، والمشركين بخاصة، ممن في قلوبهم مرض الشرك بوحدانية الله الواحد الأحد، التفكير وتأمل هذه المعجزات. بكلمة أخرى أن أنسنة غير العاقل في الخشوع، إنما هي إظهار لحق الله بوحدانيته، والتعبد له دون شرك وهي بمثابة الأمثال في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] أي القرائن والحجج والبراهين والأدلة على عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته على تسخير أي شيء

في هذا الكون، بالصورة التي يريدها عز وعلا، وهي في الوقت نفسه - أي الآيات- تذكير للناس على أن قدرة الله - جل وعلا- شاملة مطلقة، كما في قوله تعالى ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

□ نطق ما لا ينطق:

النطق بمعنى الكلام والتكلم المخصوص بالإنسان بإرادة الله سبحانه وتعالى، دون سائر الخلق من حيوانات وجمادات وغيرها، والتكلم المتأتي من النطق شيء، والصوت شيء آخر، إذا أخذنا في الحسبان ما ورد في بعض المعجمات وبما نصه: (الناطق الحيوان) والصامت ما سواه، والناطق: الحيوان، سمي ناطقاً لصوته، وصوت كل شيء منطقه ونطقه[٤٧]، أي أن الصوت هو المشترك بين الإنسان والحيوان فقط، خلاف الكلام أو التكلم المعني به الإنسان وحده.

وحين نتأمل بعض آيات الذكر الحكيم ضمن ما يدرج تحت الفعل (نطق) نستنبط منها ابتداء المعنى الدال على كلام نبي الرحمة محمد ﷺ المتأتي عن الوحي في قوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، أي أن ما يأتيكم به من كلام ليس هوى نفسه، إنما هو ما يوحى إليه من الله عز وجل[٤٨].

وفي آية بينة أخرى، نستدل منها على ما هو من الجمادات اللاناطقة، في قوله تعالى على لسان النبي إبراهيم عليه السلام الذي حاجج المشركين وهتم حين عزا كسر تلك الأصنام التي قام به إلى الأكبر فيها ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝٦٣... ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣، ٦٥].

وفي آية أخرى يستدل فيها توقف الظالمين على النطق أي التكلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥].

وقد يستعمل المنطق في غير الإنسان، وذلك حين علّم الله عز وجل أحد أنبيائه (سليمان) عليه السلام منطق الطير (أي فهم أصواته)[٤٩]، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

وفي آيات أخرى من التنزيل العزيز نلمس أن الله -عز وجل- أنطق الجلود، في معرض سؤال (أعداء الله) لجلودهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [فصلت: ٢١].

وأنطق الله (النمل) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [النمل: ١٨-١٩]. وانطق الله عز وجل (الهدهد) في قصة جمعته مع النبي سليمان - عليه السلام - تضمنتها هذه الآيات البينات ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٠-٢٨] المهم في هذه الآيات هو إنطاق الله للنملة في قوله تعالى: (وقالت نملة) من جهة، وإنطاق الهدهد في محاورته مع النبي سليمان عليه السلام وإطلاعه على ما لقيه في غيبته.. وبقدرة الله عز وجل غدا الاثنان (النملة والهدهد) ملاءمين للطبيعة البشرية نطقاً، وإدراكاً، وفهماً، وإحساساً)

ويقال الشيء نفسه عن جهنم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق/٣٠]. جنهم لا تعدو سوى مكان، سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها[٥٠]، ولذلك فهي من «أسماء النار التي يعذب بها عباده من استحق العذاب منهم في الآخرة[٥١]، والأهم ما في الآية الكريمة أن الله عز وجل خاطبها مخاطبة العاقل المدرك لما يقال له، بصيغة استفهام تحقيقاً لوعده - عز وجل- بملئها، وجوابها ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ الاستفهام كالسؤال، أي لا أسع غير ما امتلأت به، أي قد امتلأت، وتلك رؤية السيوطي لمعنى الآية الكريمة[٥٢].

ويبدو لنا أن أنسنة (جهنم) شاخصة معطياتها بنطقها أو قولها، وتلك معجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى التي تعد ولا تحصى تارة، يتحدى بها من ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ولا يدركون سوء عاقبتهم في خاتمة المطاف تارة ثانية، وهي تنبيه للمؤمنين الموحدين ليزدادوا خشوعاً ويقينا وإيماناً وتضرعاً ويرددوا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] تارة ثالثة، وهذه المعجزة وغيرها لا كونها إثباتاً لقدرة الله فحسب، إنما هي في الوقت نفسه ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٣] تارة رابعة.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] يبدو أن السيوطي كان سباقاً في رؤيته لهذه الآية الكريمة أنها تدرج ضمن منظور الأنسنة، دون تداوله المصطلح لقوله تفسيراً لها «فيه تغليب المذكر العاقل، أو نزلتا لخطابهما منزلته» [٥٣] مدركاً -كما يخيل إلينا- أن الطاعة فعل إنساني أساساً، ورد في بعض المعجمات ما نصه: «الطوع نقيض الكرهِ، وطاع له إذا انقاد له، والطاعة: اسم لما يكون مصدره الإطاعة، وهو الانقياد، يقال: طاوعت المرأة زوجها طواعية حسنة ورجلٍ طيِّع أي طائع»[٥٥].

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآيات البينات يدعو الإنسان إلى النظر في جميع المخلوقات للاستدلال بها على تبعية الخلق للخالق، ليزيده ذلك إيماناً وتوحيداً واقتناعاً وعبادة وطاعة، وذلك ما يفصح عن مسار العبودية الربانية في طاعة ما في الكون جميعاً لله الواحد الأحد.

□ سير ما لا يسير.. وأمانة ما لا يعقل:

يعرف القاصي والداني أن السير منوط بالإنسان وبعض الدواب، يقال: السير: الذهاب، والتسيار: التُفعال من السير، والسيارة: القوم يسيرون. والدابة مسيّرة إذا كان الرجل راكبها وسائر بها. والسير يكون في النهار والليل، وأما السُّرى: فلا يكون إلا ليلاً[٥٦].

وفي قراءتنا للمصحف الشريف تطالعنا آيتين متعلقتين بالفعل (سير) الأولى قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، والأخرى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣].

فسرت هاتان الآيتان بما نصه: «ذهب بها عن أماكنها، حتى غدت هباء منبثاً في خفة سيرها»[٥٧].

نستشف من الآيتين ومعناهما، أن الله عز وعلا جعل الجبال تنقاد لأمره بالسير، الموازي لسير الإنسان.. وبذلك تبدو أنسنة الجبال حين خلع عليها ما يلائم الإنسان في سيره المعتاد.

ورب معترض يقول: أليست الدواب تسير أيضاً؟، ونجيب بقولنا: أن معنى الدابة المسيرة: هو إذا كان الرجل راكبها أو سائر بها، أي أنها رهن بالإنسان، وقد يكون تسيير الجبال نهاراً أو ليلاً، والليل سير الإنسان فيه تحديداً والمسمى بـ(السّرى)، ثم إن انقياد الجبال لأمر الله بالسير يعطيها وعياً وإدراكاً لما أمرت به، وذلك (الوعي) من الصفات البشرية، وآيات الله البينات منصبة على الإنسان

ليجعله قائماً بعبوديته، ورافضاً لعبودية ما سواه، ومؤمناً بأن جميع المخلوقات ومنها (الجبال) مأمورة ومسخرة وعابدة لله، لتزيده هذه المعجزات رسوخاً بأن أمرها وتحولها منوط بالله وحده، فحسبه أن يخضع لمشيئة الله كخضوع هذه الجمادات، وذلك الانقياد لجميع المخلوقات غير البشرية نتلمسها في قوله تعالى: ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذِۭ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر: ٢٣].

قيل في تفسير هذه الآية الكريمة: «إن جهنم تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ»[٥٨].

فقوله تعالى: ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ ﴾ لا يعدو سوى الانقياد، كما ورد في المعجمات، يقال: أجأته أي جئت به (انقاد للمجيء)، ويقال أيضاً: الحمد لله الذي جاء به، أي الحمد لله إذا جئت، وأنه لحسن الجيئة: أي الحالة التي يجيء عليها[٥٩]. وبذلك تبدو استجابة جهنم للمجيء.. أقرب إلى انقياد عاقل أو مدرك لطلب مجيئه إلى موضع بعينه، من منظور الأنسنة، ولا يتعارض ذلك مع التعبير المجازي الإعجازي للآية الكريمة.. وذلك ما يزخر به القرآن الكريم بل هناك تجانس وتلاؤم بين المجاز والأنسنة، من منطلق أن القرآن الكريم يؤلف بين الاتجاهين الديني والفني (المجازي)[٦٠]، فيما يعرضه من الصور والمشاهد المفعمة بالحركة المتخيلة التي يسوّغ إدخال معانيها في نطاق الأنسنة بدلالة (الانقياد) في هذه الآية الكريمة. وبذلك يبدو سياق الآية الكريمة، لا وسيلة للتوصيل فحسب إفهاماً وتبصيراً ووعيداً وإنذاراً وتذكيراً وخشية وما إلى ذلك من دلالات عدة، إنما هي غاية ووسيلة من جهة، ومعجزة وإعجازاً من جهة أخرى. ثم أن الأنسنة ترسخ الصورة في ذهن المتلقي، وتولد عنده رغبة التأمل والقراءة، وتكوين سلطة تفسيرية -أن جاز التعبير- منشودة.

وبشأن الأمانة المتعلقة بغير العاقل، جاء في المصحف الشريف: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

يقول السيوطي في تفسيرها: الأمانة هنا (الصلوات) وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهماً ونطقاً ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي خفن منها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ آدم عليه السلام بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا﴾ به[٦١].

إن إرادة الله أضفت ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ ما يلائم الطبيعة البشرية (فهماً وإدراكاً وشعوراً) - كما قال السيوطي- وذلك مدعاة أنسنتها، في حين وصف الإنسان ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ بقبوله تلك الفريضة، أو تكاليف الأوامر والنواهي وتضييعه إياها، أو عدم النهوض بها، مما أوجب تعذيب الله لمثل هؤلاء المضيعين لهذه الأمانة من ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣].

وبذلك تحمّل الآية الكريمة الإنسان مسؤوليات سيئاته، وتقسم الناس بين مؤمنين واعين لتلك الأمانة ومتطلباتها كوعي ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ وآخرين يغلب الجهل عليهم أو أنهم يتجاهلون ما في تلك الأمانة من خير في الدنيا والآخرة، ومن هنا ندرك أهمية الأنسنة في المصحف الشريف لبيان التناقض بين اللاعاقل والعاقل في الخضوع لإرادة الله وحكمته وقضائه في إظهار معجزاته، وأسلوب إعجاز القرآن الكريم في صوره ومعانيه اللطيفة المؤسرة.

❑ تنفس ما لا يتنفس، وسكوت غير الناطق:

قال تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨] قال المفسرون في معنى الآية الكريمة: امتد الصبح حتى يصير نهاراً بيّنا، وقيل: إذا طلع، أو إذا أضاء أو إذا انشق الفجر[٦٢] أن هذا المعنى لا يحول دون النظر إليها من منظور الأنسنة، فالتنفس ملمح مشترك بين الإنسان والحيوان، من حيث أن «كل ذي رئة متنفِّس والنائم يتنفس»[٦٣].

والنفس في كلام العرب يجري على ضربين، أحدهما: الروح، في قولك: خرجت نفس فلان أي روحه، والآخر: فيه معنى جملة الشيء وحقيقته، تقول: قتل فلان نفسه أو أهلك نفسه أي أوقع الإهلاك بذاته كلها، والجمع من كل ذلك أنفس ونفوس. وسمي الدم نفساً، لأن النفس تخرج بخروجه[٦٤]، فضلاً عن معان آخر للنفس - مما لا تعيننا في هذا المقام- ومما يرجح لنا أنسنة الصبح في هذه الآية الكريمة، قول بعض المعجمين أن «النفس يعبر بها عن الإنسان جميعه[٦٥]، وفي الآيات البينات ما يدل على هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

أن هذه الآيات المحكمات -وغيرها- تدل على ارتباط النفس بالإنسان فخلع على الصبح ذلك التنفس الأكثر ترجيحاً لتنفس الإنسان بوصفه أعلى مراتب خلق الله عز وجل على سائر المخلوقات الأخر، وذلك ما يستشف من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، والأهم ما في هذه الآية الكريمة من منظور معناها التفسيري، أو أنسنتها هو إعجاز التصوير المجازي في القرآن الكريم، من حيث أثره في نفس المتلقي، حين تغدو المعاني المجردة تفقد هيأتها وتتخذ شكلاً من أشكال الطبيعة الإنسانية[٦٦].

ويقال الشيء نفسه عن (النار) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٧-٨].

إذا كان معنى (الزفير) الصوت الشديد، و(الشهيق) الصوت الضعيف و(الغيظ) الغليان كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب من منظور أحد المفسرين لهذه الآيات البينات[٦٧]، فقد يسوغ لنا أنسنة (النار) إذا أخذنا في الحسبان أن تنفس الإنسان حاصل في شهيقه أي (رد النفس) وزفيره (إخراج النفس)، وما يرجح أنسنة (النار) قول الزجاج: «الزفير والشهيق من أصوات المكروبين»[٦٨]، أي أنهما فعل إنساني خلعا على النار، وذلك محتوى أنسنة النار في هذا المقام، ليتأكد لنا أن كثيراً ما يخلع القرآن الصفات الإنسانية على غير العاقل، أو يجعلها ملاءمة للطبيعة الإنسانية.

وقول السيوطي (الغيظ) الغليان كالغضبان[٦٩] يرجح لنا أن أحد مشاعر أو أحاسيس الإنسان هو (الغضب) قد خلع على النار، في سياق المعنى الظاهر للآية الكريمة، ما يسوغ أنسنتها أيضاً، ما يزيد ذلك من تناسق التعبير مع الحالة المراد تصويرها، فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية في إعجاز التعبير التصويري في القرآن الكريم[٧٠].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤] لا شك في أن هذه الآية الكريمة فسرت من منظور بلاغي في تضمنها استعارة مكنية (حذف المشبه به، وإبقاء ما يمت إليه، واثبت المشبه)، ولا خلاف في أن (السكوت) في الآية الكريمة هو (السكون)[٧١]. ما يسوغ المعنى الأخير للفظة (سكت) أن ننظر إليها من منظور الأنسنة، من منطلق أن السكوت مرادف للصمت، خلاف النطق، يقال تكلم الرجل ثم سكت»[٧٢].. وذلك ما لا ينطبق على الحيوان والجماد.. وبذلك يبدو الفن البلاغي في استعاراته وغيرها -في القرآن الكريم بخاصة- مسهماً في الأسلوب التعبيري الإعجازي، في خلع الطبائع الإنسانية على غيره، مما يزيد من الجمال الفني المقصود أحداث تأثيره الوجداني في نفس المتلقي، بكلمة أخرى الإفصاح عن البعد

الديني بلغة الجمال الفني الذي يمزج بين الأفكار والمواقف والانفعالات، دون فصل بين الفكرة وجمال التعبير الذي يعد أحد وجوه الإعجاز القرآني، وتأكيد معجزاته في الوقت نفسه[٧٣].

ذلك هو جهدنا المتواضع في الكشف عن معجزات الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وإعجازه اللامتناهي، من منظور الأنسنة، ويقيناً أن ما تضمنته آيات الذكر الحكيم من أسلوب تعبيري أخاذ تغلغلت في تضاعيف الأنسنة معجزة وإعجازاً، غاية ووسيلة، لها القدح المعلى في ترك الشرك والضلالة والبهتان، وسائر ما يضر الإنسان ولا ينفعه في دنياه وآخرته والدخول في نور الإسلام الذي سيبقى مناراً تهتدي به البشرية بعامة، والمسلمين بخاصة ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

دون إدعاء بإحاطتنا الجامعة المانعة (للأنسنة في القرآن الكريم)، بل في حاجة إلى من يقوّم جهدنا، ويكمل مشوارنا الذي قد يكون اعتراه خلل أو انقص -من غير تعمد- فكل ابن آدم خطاء، والكمال لله عز وعلا وحده.

هوامش الفصل الأول ومصادره:

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الغدير الجديد، القاهرة، ط٢٠١٦: ٦/٤ وما بعدها.

(٢) ينظر: المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، ط بيروت، ٢٠٠٦: ١٠٠ وما بعدها.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٩/٤.

(٤) إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، مصر، د.ت: ٣٦.

(٥) ينظر: أصول الشعر العربي، تأليف د. س، مرجليوث، ترجمة: د. يحيى الجبوري، سورية، ١٩٧٨: ٧.

(٦) ينظر: البحث الموسوم بـ (أنسنة الطبيعة في الشعر الجاهلي)، د. أحمد إسماعيل النعيمي، مجلة العرب السعودية، عدد رجب- شعبان (ج، ج٢)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م: ٧.

(٧) قواعد الشعر، أبو العباس ثعلب، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٩٥: ٥٣.

(٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٦: ٤١.

(٩) الصورة الفنية -معياراً نقدياً- د. عبد الإله الصائغ، بغداد، ١٩٨٧: ١٥٤.

(١٠) كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٨٢: ١٦٥/٤ (شخص).

(١١) أساس البلاغة، الزمخشري، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٢: أنس.

(١٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مطبعة السعادة مصر، د.ت: أنس.

(١٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦: أنس.

(١٤) المصدر نفسه: أنس.

(١٥) المصدر نفسه: أنس.

(١٦) المصدر نفسه: أنس.

(١٧) الصورة الفنية -معياراً نقدياً-: ١٥٤.

(١٨) التجسيم الفني في القرآن الكريم، خوله عبد الحميد عودة، رسالة ماجستير، أجازتها كلية التربية للبنات، -جامعة بغداد- ٢٠٠٠: ١٤.

(١٩) أساس البلاغة: سجد.

(٢٠) لسان العرب: سجد.

(٢١) المصدر نفسه: سجد.

(٢٢) معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، ط. مصر، ١٩٩٨: ١٢٦/٣.

(٢٣) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغداد، د.ت: ٣٠٤.

(٢٤) كتاب العين: ٣٩٨/٣ (شهد).

(٢٥) اللسان: شهد.

(٢٦) تفسير الجلالين: ٨٠٠.

(٢٧) تفسير الجلالين: ٣٧٤.

(٢٨) أساس البلاغة: شهد.

(٢٩) المصدر نفسه: شهد.

(٣٠) لسان العرب: شهد.

(٣١) ينظر: معاني هذه الآيات البينات في تفسير الجلالين: ٤٢٩، ٧٧٦، ٧٨٩.

(٣٢) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، ١٩٦٤: سبح.

(٣٣) المصدر نفسه: سبح.

(٣٤) المصدر نفسه: يسبح.

(٣٥) تفسير الجلالين: ٥٣٢.

(٣٦) اللسان: سبح.

(٣٧) تفسير الجلالين: ٤٢٢.

(٣٨) المصدر نفسه: ٧٥٧.

(٣٩) اللسان: سبح.

(٤٠) المصدر نفسه: سبح.

(٤١) تفسير الجلالين: ٣٢٣.

(٤٢) جدلية القرآن، د. خليل أحمد خليل، بيروت، ط٢، ١٩٨١: ١٤٢.

(٤٣) كتاب العين: ١١٢/١ (خشع).

(٤٤) أساس البلاغة: خشع.

(٤٥) اللسان: خشع.

(٤٦) المصدر نفسه: خشع.

(٤٧) المصدر نفسه: نطق.

(٤٨) تفسير الجلالين: ٧٠٠.

(٤٩) المصدر نفسه: ٤٩٨.

(٥٠) لسان العرب: جهم.

(٥١) المصدر نفسه: جهم.

(٥٢) تفسير الجلالين: ٦٩٤.

(٥٣) المصدر نفسه: ٦٣١.

(٥٤) العين: ٢٠٩/٢ (طوع).

(٥٥) اللسان: طوع.

(٥٦) المصدر نفسه: سير.

(٥٧) تفسير الجلالين: ٧٨٧.

(٥٨) المصدر نفسه:٨٠٧.

(٥٩) اللسان: جيأ.

(٦٠) التصوير المجازي -أنماطه ودلالاته- في مشاهد القيامة في القرآن، د. أياد عبد الودود عثمان الحمداني، بغداد، ٢٠٠٤: ١٣٠.

(٦١) تفسير الجلالين: ٥٦١.

(٦٢) المصدر نفسه: ٧٨٠.

(٦٣) العين: ٢٧٠/٧ (نفس).

(٦٤) أساس البلاغة: نفس.

(٦٥) لسان العرب: نفس.

(٦٦) التصوير المجازي -أنماطه ودلالاته-: ١٤٤.

(٦٧) تفسير الدلالين: ٣٠٠، ٤٧١، ٧٥٥.

(٦٨) لسان العرب: شهق.

(٦٩) تفسير الجلالين: ٤٧١، ٧٥٥.

(٧٠) النبوة والإعجاز في القرآن والسنة، علاء الدين الكيلاني، دار الكتب العلمية، د.ت: ٦٢.

(٧١) تفسير الجلالين: ٢١٦.

(٧٢) العين: ٣٠٥/٥ (سكت).

(٧٣) التصوير المجازي -أنماطه ودلالاته-: ١٣٠.